ملحـق ٢

كلمة رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية
الدكتور عدنان الأمين

معالي وزير التربية والتعليم العالي

أصحاب السعادة

حضرات الضيوف الكرام

ايها الزملاء

سيداتي سادتي،

يسعدني في هذه اللحظة أن أكون رئيسا للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية فأحظى بشرف الترحيب بكم جميعا.

بعد شهرين تماما، أي في ٩ كانون الثاني/ يناير المقبل، يُفترضُ أن تحتفلَ الهيئةُ اللبنانية للعلوم التربوية بعيد ميلادها السادس. دعوني أقترح تقديمَ الروزنامة شهرين، كما يقدمون الساعةَ ويؤخرونَها، واعتبارَ هذا اليوم يوم عيد ميلادها. إنه لشرف كبير لنا وحدث مميز في تاريخ الهيئة أن نلتقي بزملائنا في لبنان وسائر الدول العربية في هذا المؤتمر الحاشد، ونعتبرَه عيد ميلاد للهيئة.

على مدى ست سنوات ارتفع عدد أعضاء الهيئة من سبعة إلى سبعة وثلاثين، إذ انضم إلينا تباعا أساتذةٌ في كليات التربية وأقسامها في الجامعة اللبنانية والجامعات الخاصة التي تعمل في حقل إعداد المعلمين. جاؤوا حاملين معهم أفكارَهم وخبراتهم واهتماماتهم البحثية، وانخرطوا فأعطوا للهيئة هويتَها وجعلوا منها مساحة مستقلة للتفاعل فيما بينهم.

على مدى ست سنوات قامت الهيئة باثني عشر نشاطا رئيسيا نُشرت أعمالها في كتب. وقد ساهم في هذه الأعمال ثلاثة وسبعون اختصاصيا من داخل الهيئة وخارجها. وهي أعمال طرحت مسائلَ كثيرةً حول التعليم في لبنان، ثم حول التعليم في الدول العربية. وبقي الكثير الذي لا ينتهي، مما ولدته الأعمال السابقة، وما لم يبحث بعد. وفي السنة الحالية تقوم الهيئة بمجموعة جديدة من الأنشطة الأكاديمية، يبلغ عدد المشاركين في إحداها، وهي الدراسة التقييمية للمناهج التعلمية الجديدة في لبنان، حوالي المائتين، ما بين باحث ومساعد باحث.

وعلى مدى هذه السنوات الست لم تُصدر الهيئةُ بيانا، تأييدا لأمر أو شجبا لآخر، ولم تكلف نفسَها تمثيلَ أهل التربية، ولم تضع نفسَها في موقع المحاضر أو المدرّب. لقد قصرت عملها وركزته على أمر واحد: البحث في شؤون التعليم وتوليد الأفكار والمعلومات وتداولها ومناقشتها. فنحن ننطلق من أن هذه الوظيفةَ مفتقدةٌ في بلداننا وأن المجتمعَ العلميَ التربويَ هو الذي يحتاج إلى بناء.

رسالة الهيئة الأولى إلى هذا المؤتمر هي وضعُ موضوعِ إعداد المعلمين تحت المجهر الأكاديمي وتقديمُ ما يفيد العاملين في حقل إعداد المعلمين معرفيا، وما يساعدهم في تطوير هذا الإعداد من ضمن تصوّر أوسع لتحسين نوعية التعليم في بلداننا العربية.

أيهـا السـادة،

يسمّي المحامي في لبنان نفسَهُ maitre بالفرنسية، ولو أن المحامين لا يستعملون كلمة "معلم" بالعربية. ويسمّى صاحب المصلحة المتمكن من صنعته بالمعلم، فإذا ذهبت إلى محل للنجارة أو الحدادة تسأل: أين المعلم؟ لتقابلَ هذا المتمكنَ من صنعته. وصارت الكلمة صفة للدلالة على أي متمكن: معلم في السياسة ومعلم في الطب... وفي المجتمعات الأكاديمية يقولون c'est une autorité أو he is an authority للدلالة على "المعلم" في حقله واختصاصه.

أظن أن السؤال الأساسي المطروح على هذا المؤتمر هو: كيف نكوّن مُدرِّسةَ لرياض الأطفال "معلمة"؟ وكيف نكوّن في معاهد وكليات إعداد المعلمين مدرساً ابتدائياً "معلماً" واستاذاً ثانوياً "معلماً"، أي متمكناً في حقله ومتمكناً في صنعته؟ ولا أظن أن أياً من هؤلاء يمكن أن يكون "معلماً" إذا لم يكن قادراً على أن يظل "معلماً" عندما ينتقل من بلد عربي إلى آخر، ولا يمكن أن يحصل ذلك إذا لم تكن معاهدُ وكليات المعلمين متفقةً على نواة هذه الصنعة، وإذا لم يكن الأساتذة في هذه الكليات والمعاهد قادرين على التحرك فيما بينها دون مشقة فكريا أو جسديا.

رسالة الهيئة الثانية إلى هذا المؤتمر هي أن يقدم المشاركون توصيات لأنفسهم وليس لغيرهم حول ما يؤمن لهم إطاراً مشتركاً للإعداد، يجعل الطلاب–المعلمين قادرين على التحرك بين مؤسسات إعداد المعلمين، كما يجعل الأساتذة والعمداء ورؤساء الأقسام قادرين على التحرك أيضا.

أيها السادة،

المسألة الثالثة والأخيرة التي أود إثارتها تتعلق بما يحدث اليوم في العالم، ولا أقصد التكنولوجيا، بل الهزة التي وقعت في ١١ ايلول، ويقتصر ما يظهر من دمارها حتى الآن على نيويورك وأفغانستان.

لا تظنوا أن الحرب هي بين بوش وبن لادن.

ولا تظنوا أن التحدي محصور بين التحالف الدولي والإرهاب.

إن التحدي الأعمق موجود حيث نعتقد أنه غيرُ موجود، وحيث نظن أن لا تحديات تخصنا وأن ما يخصنا هو من الأمور الصغرى. إنه يتعلق بمساءلة أنفسنا حول القيم المتضاربة القاعدة في داخلنا والتي انكشف فجأة الصراعُ في ما بينها. إنه يتعلق بمساءلة المؤسسات السياسية والإدارية والاقتصادية والدينية حول ما فعلته خلال نصف قرن على الأقل، في كل بلد عربي على حدة أو فيها مجتمعة، حتى أصبحنا على هذا القدر من القابلية السريعة للكسر، بحيث يكفي أن يقرر أحدٌ رمينا بحجر من الخارج حتى تقع الطامة.

إنه يتعلق بمساءلة المؤسسات التربوية حول ما فعلته تجاه هذا الموضوع، إن لجهة الائتمار أو لجهة تغذية المحيط استجابة لهذا الائتمار.

لقد قيل، بعد زوال الاتحاد السوفياتي، إن هذه هي نهاية التاريخ، وها هو العالم ينكشف عن تاريخ قديم – جديد يقوم على تزوير التاريخ وعلى النفاق. والناس حيرى بين أن يصفقوا للشعارات والقيم المقبولة من هنا وهناك، وأن يدينوا الممارسات المرفوضة من هنا وهناك. على أن الحيرة والأسئلة والمناقشات الصاخبة، وحتى العنف، هي دلالة على أننا شعب حي لا يقبل التهميش.

هل بدأنا نهاية عصر النفاق، أم أنها مجرد آمال، حتى لا أقول أوهام؟

أيها السادة،

فلنكن نحن نحن، وليس غيرَنا. وليكن المعلم نفسَهُ وليس آلةَ تسجيل أو بوقا لغيره. وليكن الطالب هو هو، وليس مرآةً محدبةً لنا. هذه الرسالة الثالثة والمنقولة إلى مؤتمرنا مما يطرحه العالم على نفسه ونطرحه نحن على أنفسنا.

باسمي وباسم زملائي في الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية أرحب بكم مجددا وأتمنى لمؤتمرنا هذا كل النجاح، وأن يتابع مكتب اليونسكو في بيروت بعد دعمه المشكور لهذا المؤتمر، مساندته لما يصدر عنه من وثائق، بما يحقق جودة إعداد المعلمين في البلدان العربية، وأن تتضافر جهودنا جميعا في سبيل هذه الغاية.

شكرا لكم والسلام عليكم